عبد الرحمن امير الافغان

من مقالة لاحد معارفهِ في مجلة المجلات الانكليزية

عبد الرحمن خان امير افغانستان هو ابن السردار محمد افضل خان ولد سنة ١٨٣٠ وشبَّ على حب الحرب والجلاد فقاتل عمهُ شير علي وكان اميرًا لافغانستان وانتصر عليهِ في عدة معارك فطبَّق اسمهُ البلاد كلها لبسالتهِ ومهارتهِ في قيادة الجيوش . ولقيهُ ابن عمهِ الامير يعقوب خان بجيش جرار فتغلَّب عليهِ واضطر في قومهِ فرَّ الى بلاد الروس ونزل في سمرقند واقام فيها ضيفًا بل اميرًا من سنة ١٨٧٠ الى ١٨٨٠

وتوفي عمهُ شير علي سنة ١٨٧٩ وخلفهُ ابنهُ يعقوب خان ولم تمضِ تلك السنة حتى قام رجالهُ وثبوا على دار الوزير الانكليزي المقيم في كابول عاصمة الافغان وقطعوهُ اربًا هو ومَن معهُ فبعثت الحكومة الانكليزية بالقائد الشهير اللورد روبرتس فانتصرَ منهم واضطرَّ يعقوب خان الى الاستعفاء فاستعفى ونُصِّب الامير عبد الرحمن مكانهُ بعد ان اظهر ولاءهُ للانكليز

ولم يكد يتربَّع في سرير الملك حتى اخذ يجمع كلمة الافغان ويوفِّق بين قبائلهم ويزيل اسباب الشقاق من بينهم ولو بالقوة . وكان ايوب خان ابن عمهِ شير علي قد فرَّ الى بلاد فارس من وجه اللورد روبرتس فلمَّا شعث رجالهِ وعاد الى بلاد الافغان واستظهر على جنود الامير في مدينة قندهار ودخلها عنوةً . ورأى الامير انهُ لا بدَّ لهُ من الخروج بنفسهِ لمقاتلة ابن عمهِ فاختار نخبة رجالهِ وخرج بهم ولقيهُ قرب قندهار واستظهر عليهِ حالاً فعاد الى بلاد فارس واقام فيها الى سنة ١٨٨٨ ضيفًا على شاه الفرس

وكان هذا الظفر المبين الق الرعب في قلوب الافغان فتردَّد رؤساؤهم بين الطاعة لهُ والخروج عليهِ . اما هو فعرف الداء والدواء وجعل يدعوهم الى عاصمتهِ واحدًا بعد الآخر ويوقع بهم . ولم يقرَّ لهُ قرار حتى قضى على كل الذين يظن بهم العداء لهُ او المقدرة على مناوأتهِ

وليس من العدل ولا من المروَّة لومهُ على ذلك فان الغاية التي ترضَّاها جيدة جدًّا ولا سبيل اليها في تلك البلاد النائية الاَّ السبيل الذي سار فيهِ . فتوعامل خصومهُ بالرفق والتؤدة لخرجوا عليهِ وجرت الدماء انهارًا . اما الآن فالبلاد كلها خاضعة لهُ خضوعًا تامًّا مع ما اشتهر عن اهلها من البسالة وإباءة الضيم واذا تكلم كلمة واحدة امتدَّ صداها من اقصى افغانستان الى اقصاها وفعلت في النفوس اكثر من الوف المدافع يشهد بذلك كل من سار في تلك البلاد

ولم تستتب له السلطة الا بعد ان قمع ثورات كثيرة منها ثورة ابن عمه اسحق خان الذي كان والياً على ما يلي تركستان من بلاد الافغان فانه دعاه اليه مراراً كما دعا غيره من الامراء والرؤساء فاوجس اسحق خان من ذلك شراً اذ رأى ما حل بغيره من الذين كانوا يدعون الى كابول فلا يعودون منها فلم يلبِّ دعوته فاغاظ من ذلك وبعث اليه اجنود ليأتوا به كرهاً فلقيهم واثخن فيهم ثم سار على كابول وقد حدَّثته نفسه بالاستيلاء عليها فلقيه عبد الرحمن بنفسه واوقع به فانهزم من وجهه وجاء الى سمرقند وهو الآن ضيف على روسيا . وسار عبد الرحمن إلى بلاد اسحق خان ووضع السيف في انصاره واقام فيها نحو سنة الى ان رتَّب امورها واستوثق من اهلها

وثار الشيعة على السنيَّة بين كابول وهرات فتغلَّب عليهم واخمد ثورتهم . والارجح ان الامن قد ضرب اطنابه الآن في البلاد كلها ولا خوف من ثورة اخرى في ايامه فسار في غنى عن استعمال القوة والعنف في سياسة البلاد ولذلك عاد إلى ما في فطرته من مكارم الاخلاق وجعل يعامل الناس بالرفق والدعة فتحببت القلوب على حبه . والذين في نفوسهم شيء من البغض له لا يجسرون على المجاهرة بذلك فيضطرون ان يتمنُّوا بمدحه علناً

وعنده كثيرون من الاوربيين وهو يكرمهم اكراماً عظيماً ويدفع اليهم رواتب طائلة ويكرم كل اوربي اذا رآه شجاعاً مستقيماً نافعاً له في خدمته ولكنه لا يسمح لاجنبي ان يتعرَّض لشؤون البلاد السياسية بوجهٍ من الوجوه

ولما كان له ثلاث سنوات في امارة الافغان شكا من قلة المال في يده وطلب مساعدة الحكومة الانكليزية فجعلت له لكاً (مئة الف) من الريبات في الشهر ثم زادت هذا المال وجعلته لكاً ونصف لكٍّ واهدت اليه كثيراً من الاسلحة (لكي يكون عوناً لها على مقاومة الروس لو اردوا اجتياح بلاد الهند) . وعنده الآن جيش منظَّم باحسن البنادق الحديثة ودار صناعة كبيرة في مدينة كابول يديرها المهندس الانكليزي السر سُلْتر باين ويصاغ فيها الاسلحة والآلات والادوات المختلفة . وقد بلغت بها بلاد الافغان شأواً عظيماً في الصناعة والتأهب للحرب

وزار لورد دفرن سنة ١٨٨٥ وكان حينئذٍ حاكماً على الهند ووقف في وسط وليمة فاخرة واسعة سيفه وصرَّح بولائه لحكومة الانكليزية وبانه يضرب بذلك السيف كل اعدائها . لكنه لا يأمن على بلاده من الانكليز ولا غيرهم من الاوربيين ولا يريد ان يفتح ابواب التجارة لهم فيها

وهو من اقدر الناس على الخطابة راوية عارف بتواريخ الامم قوي الحجة فصيح العبارة اذا تكلم اخلب الالباب بعذوبة منطقه وسعة معارفه فيقف سامعوه صامتين مبهوتين كأنهُ مسحرهم سحرًا وهو يتكلم ثلاث ساعات متوالية او اربعًا كلامًا منسجمًا وترى المعاني والالفاظ تساق منقادة اليهِ كأنهُ يتلو شيئًا استظهرهُ . ولهُ ذاكرة تعدُّ من خوارق الطبيعة في قوة حفظها وسهولة استحضار محفوظاتها . ويسهل عليهِ ان يتلو من ذكرتهِ ما يملأ مجلدات كثيرة وان يشرح ما يتلوهُ شرحًا محكمًا يحمدهُ عليهِ اعظم الشراح

وهو قليل الافراط في الاكل والشرب لكن اعتداله لم ينقذهُ من الآفات فانهُ مصاب بالنقرس وقد اشتدَّ عليهِ الداء حتى كاد يوردهُ حتفهُ ثلاث مرات . وقُطع الامل من شفائهِ سنة ١٨٩٤ اما الآن فصارت نوبات النقرس اضعف من ذي قبل . ولو توفي في النوبة الماضية لخلفهُ ابنهُ الاكبر حبيب الله خان . اما هو فلم يعين من يخلفهُ حتى الآن على ما يظن ولهُ ابن صغير من زوجتهِ الَّتي من نسل الدست محمد خان اسمهُ عُمَر خان يريد ان يجعلهُ وليَّ عهدهِ حينما يبلغ سنَّ الرشد ارضاء لامهِ لانها امرأة حازمة تعلم ان في عروقها دم الملوك فلا تألو جهدًا عن بلوغ مأربها وهو حصر الوراثة في اولادها

القتل والعمران

دع رجال القانون ورجال الشورى يبحثوا عن صحة الاخذ بالقرائن في اثبات جريمة القتل على القاتل او الاقتصار على اقرارهِ وشهادة الشهود كما هو جارٍ في القطر المصري الآن وهلمَّ نبحث في امر اخرى من بحثهم برجال العلم والفلسفة وهو السبب الفطري الذي يدعو الانسان الى قتل ابناء نوعهِ وهل هو قاصر عليهِ او عام لطوائف الحيوان وماذا كانت نتائجهُ حتى الآن وما هو مآلهُ في مستقبل الازمان

اشرنا في مقالة سابقة موضوعها تخاوف الموت الى ان اسدًا وثب على لفستون الرحالة الافريقي والقاهُ صريعًا ثم تركهُ حيًّا يخبر بما جرى لهُ ويعرب عمَّا شعر بهِ في تلك الغطة الرهيبة وابو الحارث فوق رأسهِ وشمالهُ ناشبة في اعضائهِ . وهاك شرح الحادثة كما تلقاهُ عن لفستون نفسهِ ونشرناهُ في جريدة اللطائف منذ تسع سنوات

" وجدنا الاسود على اكمة صغيرة طولها نحو ربع ميل وهي مغطاة بالاشجار . فاصطفَّ